مفهوم السنة والجماعة

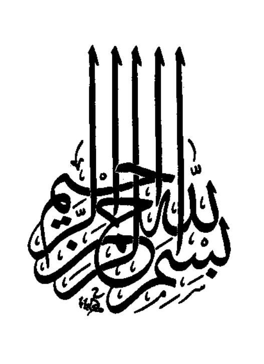
تأليف

د. ناصر بن عبد الكريم العقل

الطبعة الثانية

منقحة





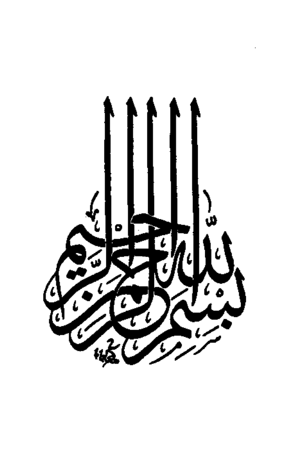
مفهوم السنة والجماعة

تأليف

د. ناصر بن عبد الكريم العقل

الطبعة الثانية
منقحة





المقـــدّمَة

إنَّ الحمـد لله، نحمـده ونستعينـه، ونستغفـره ونتـوب إليـه، ونعوذ به من شرورِ أَنفسِنا ومن سيئـات أَعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له.

وأَشهـد أن لا إلـه إلا الله، وحـده لا شـريـك لـه، وأَشهـد أن محمداً عبـده ورسوله، صلـى الله عليه وعلى آله وصحبـه، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدِّين.

وبعـــد:

فإن الله تعـالى كتب لهذا الـدِّين أن يبقى، وقضـى بحفظه، إلى أن تقوم السـاعة، قال تعالى: ﴿إِنَّـا نَحنُ نَزَّلنا الذِّكْـرَ وإِنَّا لَهُ لحافِظُونَ﴾ [سورة الحجر، الآية: ٩].

وقال النبي ﷺ: «لا تزال طائفـة من أمتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة»[1].

---

(١) حديث متفق عليه، انظر صحيح البخاري «كتاب المناقب» باب ٢٧ فتح الباري ٦/ ٦٣٢، وصحيح مسلم «كتـاب الإمارة» باب قولـه ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ...» الحديث، ١٩٢٠ ـ ١٩٢١.

فقد نصّ حديث رسول الله ﷺ هذا على أن هذا الدين سيبقى ممثلاً بطائفة، وهي الفرقة الناجية، التي استثناها الرسول ﷺ من الفرق الهالكة عند الافتراق والاختلاف في الدين، فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه وغيره، أنه ﷺ قال: «تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»(١).

وقال ﷺ في الرواية الأخرى عن معاوية رضي الله عنه وغيره: «كلها في النَّار إلا واحدة وهي الجماعة»(٢).

وقد أجمع أهل العلم وأئمة الهدى، على أن هذه الفرقة الناجية هم أهل السُّنة والجماعة.

* وأهل السُّنة والجماعة هم الصحابة والتابعون والسلف الصالح وأئمة الهدى، أهل الحديث والعلم والفقه في الدين

---

(١) أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٢٥، «كتاب الإيمان» باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٢، وابن أبي عاصم ١/ ٧، ٨، والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٨، وصححه الألباني في ظلال الجنة.

في القرون الثلاثة الفاضلة، ومن اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم، ولم يحدث ولم يبتدع في الدين ما لم يكن من هديهم؛ لأنهم كانوا على المحجة البيضاء، على بينة من ربهم؛ لم تعصف بهم الأهواء والفتن، ولم تحرفهم البدع عن العروة الوثقى والصراط المستقيم.

وأهل السُّنة هم كل من هو على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون في الهدي الظاهر والباطن.

وهدي الرسول ﷺ وصحابته والسَّلف الصالح بيّن واضح، منقول مسطور محفوظ، هو كتاب الله وسُنة رسول الله ﷺ كما فهمها وعمل بها السلف الصالح.

ورغم وضوح هذا الأمر، فإن الكثير من المسلمين في هذا العصر مع اختلاط الثقافات وانتشار البدع واستعلاء الفرق والمذاهب الضالة جهلوا كثيراً من أمور دينهم وعقيدتهم.

وكان مما أصبح مجهولاً لدى الكثير من المسلمين: مفهوم أهل السُّنة والجماعة، وأصولهم؛ وهديهم، مما جعل بعض الجاهلين يدعي أن أهل السنة تاريخ مضى أو أنه ليست هناك طائفة يصدق عليها هذا الوصف، أو أن مناهج السلف إنما

هي أصول نظرية مثالية، أو أن المسلمين جميعاً على مختلف مشاربهم على السُّنة، أو أن مناهج السُّنة عفى عليها الزمن، ولابد من البدائل بالتجديد.

كما أنها ظهرت أخيراً دعاوي ومزاعم وشعارات من قبل بعض الفرق والجماعات التي تخالف السُّنة والجماعة، بأنها هي أهل السُّنة والجماعة، أو أنها منهم، أو تنتمي إليهم.

وهذه الدعاوي والمزاعم تحتاج إلى تحقيق وبرهان، بعرض عقائدها، ومناهجها وأعمالها، على منهج أهل السُّنة والجماعة، البيّن الواضح المرسوم، وبهذا تتبين حقيقة الدعوى.

وأمثل أسلوب لبيان ذلك ـ في نظري ـ هو نشر مفهوم أهل السُّنة والجماعة، كما بينه أهل السُّنة أنفسهم، وقبل ذلك بينته السُّنة، ورسمه الصحابة، والتابعون، وتحددت معالمه من خلال منهج أئمة الهُدَى، سلفنا الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وما بعدها حتى اليوم.

وأتقدم بهذا البحث الموجز، إسهاماً في تجلية الأمر متحرياً فيه ـ قدر الجهد ــ توضيح مفهوم أهل السُّنة والجماعة في

القرآن الكريم والسُّنة، كما فهمه أهل السُّنة والجماعة أنفسهم من الصحابة، والتابعين، وسلفنا الصالح، أئمة الهدى، أهل الحديث والفقه في الدين، المقتدى بهم، الذين رضيتهم الأمة، وتلقت عنهم دينها بالقبول، فأهل السُّنة والجماعة هم أهل الدار (وأهل مكة أدرى بشعابها). وهذه محاولة منِّي لتجلية هذا الأَمر بإيجاز، وهي جهد المقل.

فأسأل الله أن ينفع بها، وأن يعز دينه، ويعلي كلمته، وينصر عباده الصالحين، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

ناصر بن عبد الكريم العقل



المبحث الأول
في مَفهُومِ السُّنةِ

وفيـــــه :

* تعريف السُّنّة في اللغة.
* من معاني السُّنّة في القرآن الكريم.
* مِنْ معـاني السُّنَّة فـي السُّنَّةِ النبـوية، حـديث النبي ﷺ، ومفهومها عند الصحابة والتابعين والسلف الصالح:

أولاً: السُّنة مقابل القرآن الكريم.

ثـانيـاً: السُّنـة مـا كـان عليـه النبي ﷺ مـن العلم والعمـل والهدي وكل ما جاء به مطلقاً.

ثـالثـاً: السُّنـــة مـا شـرعـه النبـي ﷺ وأقـره مقـابـل البـدع والمحدثات في الدِّين.

رابعاً : السُّنة قد يُراد بها النافلة.

خامساً : وتطلق السُّنة علـى حال السلف في العلم والعمل بمعنى (الاتباع).

سادساً: السُّنة أصول الدين ومسائل العقيدة.

* مفهومُ السُّنّة عند المتأخرين:
* السُّنة بمعنى (الحديث).
* السُّنّة بمعنى (النوافل والمستحبات).

□ □ □

المبحث الأول: في مفهوم السنة

*** السنة في اللغة[١] :**

السُّنَّة في اللغة مشتقة من: سَنَّ يَسِنُّ، ويَسُنُّ سَنًّا فهو مَسْنُون. وسَنَّ الأمرَ: بيَّنَه.

والسُّنَّة: السِّيرةُ والطبيعةُ والطريقةُ.

والسُّنَّة من الله: حكمُهُ وأمرُهُ ونهيُه.

وبهذا نستنتج أن من معاني السنة في اللغة ما يلي:

١ ـ السيرة والطريقة :

حسنة كانت أو قبيحة، ومنه قوله ﷺ: «من سَنَّ سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سُنَّة سيئة..» الحديث[٢].

---

(١) راجع القاموس المحيط ٤/ ٢٣٨، ٢٣٩ مادة (سنن) فصل السين باب النون، ولسان العرب ١٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢٥ مادة (سنن). ومختار الصحاح ٣١٧ مادة (سنن).

(٢) كذا أورده ابن منظور في لسان العرب ١٣/ ٢٢٥ في مادة (سنن) وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة برقم (١٠١٧) ولفظه: «من سَنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة..». الحديث.

* قال ابن منظور في لسان العرب: «وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنَّةِ، وما تصرف منها، والأَصل فيه: الطريقة والسيرة»[(١)].

٢ ـ الصقل والتزيين :

يقال: سَنَّ الشيء يَسُنُّهُ سَنًّا، وسَنَّنَهُ أي: صَقَلَه وزيَّنَه[(٢)].

والسُّنَّةُ: الوجهُ، لصقالتِه؛ وملاسته. والمَسْنون: المصقول[(٣)].

٣ ـ التقوية :

فالعرب تقول: الحمض يَسُن الإِبل على الخلة. أي يقويها، كما يقوّي السَّنُّ حَدَّ السكين[(٤)].

والسِّنَانُ، (الاسم) من يَسُنّ: وهو القوة[(٥)].

٤ ـ البيان :

فَسُنَّة الله: أحكامه، وأمره، ونهيه، وسَنَّها الله للناس: بيَّنَها،

(١) لسان العرب ١٣/ ٢٢٥ (سنن).

(٢) لسان العرب ١٣/ ٢٢٣ (سنن)، والقاموس المحيط: (سنن)، فصل السين باب النون ٤/ ٢٣٨.

(٣) لسان العرب ١٣/ ٢٢٤ (سنن).

(٤) لسان العرب ١٣/ ٢٢٠ (سنن).

(٥) لسان العرب ١٣/ ٢٢١ (سنن).

وسَنَّ الله سُنَّةً: أي بَيَّنَ طريقاً قويماً، قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ [من الآيتين ٣٨، ٦٢ من سورة الأحزاب].

نصب سُنة على إرادة الفعل، أي سَن الله ذلك بمعنى بيَّنه[١].

وهكذا نجد أن الاصطلاح الشرعي للسُّنة المفهوم من هذه المعاني اللغوية هو:

السيرة، والطريقة التي نهجها النبي ﷺ في أقواله، وأفعاله، وتقريراته على وجه العموم.

كما أن كثيراً من هذه الإطلاقات اللغوية جاء ما يشهد لها من ألفاظ القرآن الكريم، وألفاظ الحديث، كما سيأتي بيانه.

*** السنة في القرآن الكريم والسنة :**

جاء معنى السُّنة، في القرآن الكريم، والحديث، والآثار المرويّة عن الصحابة، والسلف الصالح، على وجوه متعددة، أغلبها يدور على ما شرعه النبي ﷺ في أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وسائر هديه في جميع شؤونه.

---

(١) لسان العرب ١٣/ ٢٢٥ (سنن).

فمن معاني السنة في القرآن الكريم :

١ ـ ورد لفظ السُّنة في القرآن الكريم، بمعنى: الطريقة، والسيرة، والنهج التي كان عليها الأسلاف، وقد تكون محمودة، وهي سنن الحق والهدى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ الله لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الذين من قَبلِكُمْ﴾ [من الآية ٢٦ من سورة النساء].

أي يهديكم طرق الذين من قبلكم، وهي طرائقهم الحميدة[١].

وقد تكون سنة الله في جزاء أمر مذموم، وهي سنته في إهلاك الأُمم التي عصت رسله، وتمادت في الغيِّ والباطل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وإن يَعُودُوا فقد مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِين﴾ [سورة الأنفال الآية ٣٨، وراجع فتح القدير للشوكاني في تفسير هذه الآية].

أي إهلاك الله لهم حين تنكبوا الصراط المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿لا يُؤمِنُونَ بِهِ وقد خَلَتْ سُنَّةُ الأولين﴾ [سورة

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٤١١، تفسير الآية ٢٦ من سورة النساء. وفتح القدير للشوكاني ١/ ٤٥٢ تفسير الآية نفسها.

الحجر الآية ١٣، وراجع فتح القدير للشوكاني في تفسير هذه الآية].

أي الطريقة التي سنّها الله في إهلاكهم، لما كذّبوا.

٢ ـ كما جاء لفظ (السُّنَن)، بمعنى: الوقائع والحوادث المتكررة، التي حصلت للأُمم السالفة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَد خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فسيروا في الأَرضِ فانظُرُوا كيف كان عاقِبَةُ المُكَذِّبِين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٧]. أي قد خلت من قبلكم وقائع سنها الله تعالى في الأُمم المكذبة.

٣ ـ وورد أيضاً لفظ (سنة الله) بمعنى حكمه وقضائه الثابت الذي لا يتخلف، من ذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ الله في الذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ الله التي قد خَلَتْ مِن قَبْلُ ولن تجد لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلنا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنا ولا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٧].

فالسُّنة هنا تعني: العادة الثابتة، التي حكم الله بها وقضاها[١] والمعنيان الأخيران متقاربان.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٤٩، تفسير الآية ٧٧ الإسراء.

٤ ـ وقد تكرر في القرآن الكريم، على لسان إبراهيم، عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ والحِكْمَةَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٩].

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وأَنزَلَ الله عَلَيْكَ الكِتَابَ وٱلحِكْمَةَ وعَلَّمَكَ ما لَمْ تكُن تَعْلَمُ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٣].

وقال الله تعالى: ﴿هُو الذي بَعَثَ في الأُمّيين رَسُولاً مِّنْهُم يَتْلُوا عَلَيْهِم ءايَتِهِ ويُزَكِّيهم، ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وٱلْحِكْمَةَ وإن كانُوا من قَبْلُ لَفِي ضَلَلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٢].

فالكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة هي السُّنة[١].

فالسُّنة هنا وهي الموصوفة بالحكمة، هي هدي النبي ﷺ قوله، وفعله، وسيرته.

*** من معاني السنة في السنة (أي حديث النبي ﷺ) ومفهومها عند الصحابة والسلف :**

إن استقراء معاني السُّنة كما وردت عن النبي ﷺ وكما فهمها السلف رضي الله عنهم يحتاج إلى بحث طويل، لكن

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٤٧٥ و١/ ١٦٢، وانظر فتح القدير للشوكاني ٥/ ٢٢٥ تفسير هذه الآية ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٦٦.

هنا سأذكر ما تبين لي من ذلك بإيجاز:

أولاً: السنة مقابل القرآن الكريم:

جاء عن النبي ﷺ إطلاق السُّنة مقابل القرآن الكريم، أي النوع الثاني من أنواع الوحي، وتعني ما ورد عن النبي ﷺ مطلقاً غير القرآن الكريم، فيقال: كتاب الله، وسُنة رسول الله ﷺ فالسُّنة هنا هي المصدر الثاني من مصادر الدين والشرع. كما جاء هذا الإطلاق في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ ما يُتْلَى في بُيُوتِكُنَّ مِن ءايَـٰتِ الله والحِكْمَةِ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الله عَليكَ الكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَٱلحِكْمَةَ﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٢].

فالكتاب في هذه الآيات وغيرها هو القرآن الكريم

والحكمة هي السُّنة[١] كما أشرت آنفاً، فجعل السُّنة غير القرآن الكريم في هذه الآيات.

كذلك جاء التفريق بينهما ـ أيضاً ـ عن النبي ﷺ ومن ذلك ما أخرجه مالك في الموطأ: أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله، وسُنة رسوله»[٢].

ومثله ما أخرجه الحاكم في المستدرك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تَضِلُّوا أبداً؛ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ..» الحديث[٣].

وأخرجه الحاكم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ

---

(١) انظر: تفسير الحكمة بالسُّنة عن بعض السلف، في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة للالكائي ١/ ٧١، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٦٦.

(٢) الموطأ ٨٩٩ «كتاب القدر» باب (١) الحديث رقم (٣).

(٣) مستدرك الحاكم ١/ ٩٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣/ ٣٩.

مقارب، وزاد: «فلا يتفرقا حتى يردا على الحوض»[١]. فقد فرق ﷺ في المسمى بين القرآن الكريم الذي هو كلام الله المتلو في المصحف وبين سنته ﷺ.

وجاء في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن، قال: «أرأيت إن عرض لك قضاء كيف تقضي؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ..» الحديث[٢].

فجعل السُّنة غير القرآن الكريم وأقره الرسول ﷺ، على ذلك، ومثله حديث حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السُّنة...» إلخ الحديث[٣].

---

(١) مستدرك الحاكم ١/ ٩٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٣/ ٣٩.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه باب الفتيا وما فيه من الشدة، ص٥٧.

(٣) صحيح البخاري «كتاب الفتن» باب (١٣) فتح الباري ١٣/ ٣٨، وفي «كتاب الاعتصام» باب (٢) فتح الباري ١٣/ ٢٤٩، وصحيح مسلم «كتاب الإيمان» باب (٦٤) الحديث (١٤٣) ١/ ١٢٦.

فالسُّنة هنا، هي: ما جاء به الرسول ﷺ غير القرآن الكريم.

كذلك نجد أن السلف رضي الله عنهم كانوا يُطلقون لفظ (السُّنة) على ما أُثر عن رسول الله ﷺ سوى القرآن الكريم. فيقولون: «كتاب الله، وسُنة رسوله ﷺ». ويقولون: «القرآن والسُّنة».

وهذا الإطلاق كثير في أقوال الصحابة والسلف وآثارهم، وقد مر تفسير بعض الصحابة والتابعين لقوله تعالى: ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الكِتاب والحِكمة﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٢]: بأن الكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة: هي سُنة النبي ﷺ[١] ومن ذلك:

* قول ابن عباس رضي الله عنهما: «من أحدث ما ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله...» إلخ[٢].

* ويقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ما سألتمونا

(١) انظر ص(١٨) من هذا البحث، وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٦٦.
(٢) البدع لابن وضاح ص٣٨.

عن شيء من كتاب الله تعالى نعلمه أخبرناكم به، أو سُنة من نبي الله ﷺ أخبرناكم به، ولا طاقة لنا بما أحدثتم»(١).

* وقال أبو سلمة بن عبدالرحمن، ت ٩٤هـ، للحسن البصري، ت ١١٠هـ، يرحمهما الله: «بلغني أنك تفتي برأيك فلا تفت برأيك إلا أن تكون سُنة عن رسول الله ﷺ، أو كتاب مُنزَّل»(٢).

* ومنه قول الإمام عبدالله بن عون البصري يرحمه الله، ت ١٥٠هـ: «ثلاث أُحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السُّنة أن يتعلموها، ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه، ويسألوا الناس عنه، ويدعوا الناس إلا من خير»(٣).

* وقال يحيى بن أبي كثير يرحمه الله، ت ١٢٩هـ: «السُّنة قاضية على كتاب الله»(٤).

---

(١) سنن الدارمي ١/ ٤٦.
(٢) سنن الدارمي ١/ ٥٩.
(٣) صحيح البخاري «كتاب الاعتصام» باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ فتح الباري ١٣/ ٢٤٨.
(٤) سنن الدارمي ١/ ١٤٤، والشرح والإبانة لابن بطة ١٢٨.

* وقال عبدالله بن عمر لجابر بن زيد رضي الله عنهم: «فلا تفْتِ إلا بقرآن ناطق، أو سُنة ماضية»[١].

* وقال حسان بن عطية يرحمه الله، ت١٢٠هـ: «كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالسُّنة كما ينزل بالقرآن»[٢].

فالدِّين يؤخذ من مصدرين هما: كتاب الله، وهو القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على محمد ﷺ وسُنة رسول الله ﷺ وهو قوله وفعله وتقريره وهديه وسيرته، وهذا هو المقصود بالتقسيم في هذه النقول المأثورة عن السلف.

وهذا المفهوم للسُّنة يوافق تعريف السُّنة عند بعض الأصوليين وأهل اللغة:

* يقول الشاطبي يرحمه الله، ت ٧٩٠هـ، في الموافقات: «يطلق لفظ السُّنة على ما جاء منقولاً عن النبي ﷺ على الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز»[٣].

* وقال ابن منظور في لسان العرب: «وقد تكرر في

(١) سنن الدارمي ١/ ٦٠.

(٢) الشرح والإبانة ١٢٨، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٦٦.

(٣) الموافقات ٤/ ٣.

الحديث ذكر السُّنة، وما تصرف منها، والأصل فيه: الطريقة، والسيرة، وإذا أُطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي ﷺ وما نهى عنه وما ندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز، ولهذا يقال في أدلة الشرع: الكتاب والسُّنة: أي القرآن والحديث» اهـ[١].

ثانياً: السنة ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل والهدي وكل ما جاء به مطلقاً:

كثيراً ما يرد إطلاق السنة في الحديث على ما كان عليه النبي ﷺ من الهدي والعمل، من ذلك ما صح عن النبي ﷺ في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[٢]. فالسُّنة هنا: ما كان عليه النبي ﷺ من الهدي والعمل.

وترد السُّنة بمعنى كل ما أُثر عن النبي ﷺ من القول والفعل

---

(١) لسان العرب ١٣/ ٢٢٥. وانظر النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٠٩، ٤١٠.

(٢) صحيح البخاري «كتاب النكاح» باب الترغيب في النكاح: الحديث (٥٠٦٣) من فتح الباري ٩/ ١٠٤، وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٥٨، وابن أبي عاصم في السُّنة ١/ ٣١، والحديث رقم (٦٢). وقال الألباني في هامشه: (إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات على شرط مسلم).

والتقرير والسيرة والشرع والدين الذي جاء في القرآن الكريم والسُّنة، أي السُّنة بمعناها الشامل. ومن ذلك قوله ﷺ في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «... اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضُّوا عليها بالنواجذ»(١).

فالسُّنة بهذا الإطلاق: كل ما جاء به الرسول ﷺ من الوحي والشرع والدين والهدي والعمل، ومنه عمل الخلفاء الراشدين، وهذا أشمل من المعنى السابق.

وكذلك نجد أن السلف يُطلقون السُّنة على الدِّين والشّرع الذي جاء به الرسول ﷺ مطلقاً في العلم والعمل، وما تلقّاه عنه الصحابة والتابعون وسلف الأمة في أصول الدين وفروعه، وهذا المعنى هو أشمل معاني السُّنة وأوسعها مفهوماً لدى

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السُّنة ١/ ٢٩ باب (١٦) الحديث (٥٤) وقال الألباني في تعليقه عليه: «إسناده صحيح ورجاله ثقات». وأخرجه نحوه أبو داود في باب لزوم السُّنة، الحديث (٤٦٠٧)، والترمذي في «كتابه العلم» الباب (١٦) الحديث رقم (٢٦٧٨)، وأحمد في المسند ٤/ ١٢٦، والبيهقي في الاعتقاد (١٣١).

السلف، إذ يشمل هذا المفهوم كل ما جاء به الرسول ﷺ في القرآن الكريم والسُّنة وكل ما نقله لنا صحابته من العلم والعمل، في العقائد والأحكام، والفضائل والأخلاق الحميدة التي جاء بها الإسلام، ويشمل ذلك أيضاً سُنة الخلفاء الراشدين،بل السُّنة هنا تعني الإسلام، الذي بعث الله به رسول الهدى ﷺ جملة وتفصيلاً، وهي الدين الحق والصراط المستقيم، وهي سبيل المؤمنين، وهي الحنيفية ملة إبراهيم.

* من ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : «السُّنة حبل الله المتين»(١).

* وقال أبيُّ بنُ كعب رضي الله عنه: «عليكم بالسبيل والسُّنة، فإنه ما من عبد على السبيل والسُّنة، وذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله عزوجل فيعذبه»(٢).. إلخ.

* وقول عمر بن عبدالعزيز يرحمه الله: «السُّنة إنما سنها من

---

(١) الشرح والإبانة ص(١٢٠).

(٢) أخرجه أبونعيم في الحلية ١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣، واللالكائي ١/ ٥٤ الأثر (١٠) وعزاه المحقق إلى ابن المبارك في الزهد ٢/ ٢١ ـ ٢٢.

علم ما جاء في خلافها من الزلل»[١].

وقال عبدالله بن الديلمي يرحمه الله ـ من كبار التابعين ـ: «بلغني أن أول ذهاب الدين ترك السُّنة»[٢].

وقال: «تذهب السُّنة سنة سنة، كما يذهب الحبل قوة قوة»[٣].

* وقال الحسن البصري وسفيان يرحمهما الله، في تفسير قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ قالا: على السنة[٤].

* وقال مكحول يرحمه الله، ت١١٣هـ: «السُّنة سُنتان: سُنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيرها حرج»[٥]. وهذا يشمل أصول الدين وفروعه.

* ويقول ابن رجب يرحمه الله، في جامع العلوم والحكم: «والسُّنة: هي الطريق والسلوك، فيشمل ذلك التمسك بما كان

(١) البدع لابن وضاح ص(٣٨).
(٢) سنن الدارمي ١/ ٤٥، والبدع لابن وضاح ص(٣٨).
(٣) البدع لابن وضاح ص(٦٦).
(٤) انظر اللالكائي ١/ ٦٩ مع الهامش.
(٥) سنن الدارمي ١/ ١٤٥.

عليه هو (يعني الرسول ﷺ وخلفاءه الراشدين) من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السُّنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يُطلقون اسم السُّنة إلا على ما يشمل ذلك كله. روي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض»[١] اهـ.

* ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله: «إنَّ السُّنة هي الشريعة، وهي ما شرعه الله ورسوله من الدين»[٢]. ويقول في رسالته (الوصية الكبرى) التي كتبها لأتباع عدي بن مسافر يرحمه الله: «وأنتم تعلمون ـ أصلحكم الله ـ أن السُّنة التي يجب اتباعها ويحمد أهلها ويذم من خالفها: هي سنّة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقادات وأمور العبادات وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يعرف بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة عنه في أقواله وأفعاله، وما تركه من قول وعمل، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان»[٣]. وعلى هذا المفهوم تكون

---

(١) جامع العلوم والحكم ٢٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٤/ ٤٣٦.

(٣) مجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٨.

السُّنة عندهم أشمل من إطلاقها على الحديث.

* ويقول الإمام عبدالرحمن بن مهدي يرحمه الله، ت١٩٨هـ: «الناس على وجوه: فمنهم من هو إمام في السُّنة، إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السُّنة، وإمام في الحديث فسفيان الثوري... إلخ»[١].

فهو يقصد السُّنة بمعناها الشامل، التي هي أعم من الحديث.

ثالثاً : السنة تعني ما شرعه النبي ﷺ أو أقره مقابل البدع والمحدثات في الدِّين:

كما وردت السُّنة بمعنى: ما شرعه الرسول ﷺ مقابل المحدثات في الدين، وكذلك تعني العمل الذي أقره، أي المحدث في عهد النبي ﷺ لا بعده فإن ما أحدث بعده يسمى بدعة؛ أخذاً من حديث النبي ﷺ: «وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة»[٢]، وفي الصحيحين قوله ﷺ: «وشر الأمور محدثاتها» وفي مسلم زاد: «وكل بدعة ضلالة»[٣]. وبهذا يفسر

(١) الجرح والتعديل ١/ ١١٨ (المقدمة). واللالكائي ١/ ٦٣.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم (٢٤) ١/ ١٦ وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم، انظر صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٢٤٩، ومسلم ٢/ ٥٩٢.

قوله ﷺ : «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[(١)][(٢)].

ومن ذلك قوله ﷺ: «إنه قد سن لكم معاذ هكذا فاصنعوا»[(٣)] وذلك في قصة قضاء الفائتة من الصلاة مع الإمام، وهذا من باب السُّنة الحسنة المشروعة، لإقرار النبي ﷺ لها.

وقد يأتي ذكر السنن لوصف الأفعال السيئة والضلالات التي تحدثها الأمم في الدين، ومن ذلك قول النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم «كتاب العلم» باب (١٥) الحديث (١٠١٧) ٤/ ٢٠٥٩، ٢٠٦٠.

(٢) بعض أهل البدع يتعلق بمثل هذا الحديث، زاعماً أن فيه إقراراً للبدع التي يسمونها حسنة، مثل بدع الموالد ونحوها، وهذا استدلال لا يقوم حجة على مشروعية البدع؛ لأن النبي ﷺ نهى عن المحدثات والبدع وبين أنها ضلالة مطلقاً، ثم إن هذا الحديث جاء لوصف بعض الأعمال التي وقعت باجتهاد الصحابة، وهو حي وأقرها لهم، فصارت تشريعاً منه ﷺ ثم قالوا وعملوا على حرب البدع والمحدثات وحذروا منها.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٤٦.

«لتتبعنّ سنن من كان قبلكم...» الحديث[١].

أي سيرهم وطرائقهم في عمل البدع في الدين، وهذا على المدلول اللغوي.

ويكثر في الحديث النبوي ذكر السُّنة بمعنى السيرة والطريقة. يقول ابن الأثير: «وقد تكرر في الحديث ذكر السُّنة وما تصرف منها، والأصل منها السيرة والطريقة»[٢] يعني لغةً، والشارع خصص مدلول السُّنة الشرعي بما شرعه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون، وسمّى ما أحدث بعده: بدعة.

* وقد جاء ذكر السُّنة عن النبي ﷺ مقابل البدعة، من ذلك ما جاء عن النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن غضيف بن الحارث رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السُّنة..» الحديث[٣].

كما جاء لفظ السُّنة في الحديث بمعنى المماثلة، والقياس

---

(١) أخرجه البخاري «كتاب الاعتصام» باب (١٤) الفتح ١٣/ ٣٠٠ وأخرجه مسلم الحديث (٢٦٦٩).

(٢) النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٠٩.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/ ١٠٥، ورمز السيوطي في الجامع الصغير إلى أنه =

لطريقة أو حكم سابق.

ومن ذلك ما رواه الإمام مالك يرحمه الله: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر المجوس فقال: ما أدري، ما أصنع في أمرهم. فقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[1] أي أن المجوس في أحكامهم يُقاسون بأهل الكتاب في الجزية.

* وكان الصحابة والتابعون والصدر الأول من سلف هذه الأمة يُطلقون لفظ (السُّنة)، على ما شرعه الرسول ﷺ في الدين ونقله عنه الصحابة والتابعون، وذلك مقابل البدع والقول بالرأي في الدين، ومقابل اتباع الأهواء، ومقابل استعمال

= (حسن)، انظر الجامع الصغير ٢/ ٤٨٠ رقم (٧٧٩٠)، وحسنه ابن حجر في الفتح ١٣/ ٢٥٣ وضعفه الألباني ـ ضعيف الجامع الصغير ٥/ ٧٨ حديث (٤٩٨٥) لكنه مروي عن حسان بن عطية يرحمه الله، بسند صحيح، هامش مشكاة المصابيح ١/ ٦٦، وانظر سنن الدارمي ١/ ٤٥ وشرح اللالكائي ١/ ٩٣ والبدع لابن وضاح ٣٧.

(١) أخرجه مالك في الموطأ «كتاب الزكاة» باب جزية أهل الكتاب والمجوس ١/ ٢٧٨.

القياس في مسائل الاعتقاد والقدر.

* قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها، فقالوا بالرأي فضلّوا وأضلُّوا»(١).

* وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الهوى عند من خالف السُّنة حق وإن ضربت فيه عنقه»(٢).

* وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما حين قال له رجل: أرأيت أرأيت. فقال: «اجْعَلْ أرأيت باليمن، إنما هي السنن». أي الدين المأثور عن رسول الله ﷺ(٣).

* وقال شريح القاضي يرحمه الله، ت ٨٠هـ: «إن السُّنة سبقت قياسكم فاتبع ولا تبتدع»(٤).

---

(١) أخرجه اللالكائي بسنده في شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة ١/ ١٢٣ ـ تحقيق د/ أحمد سعد حمدان، وأورده ابن بطة في الشرح والإبانة ـ ص١٢١، وابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٢٨٩ وعزاه للبيهقي.

(٢) الشرح والإبانة (١٢٢).

(٣) الشرح والإبانة (١٢٦).

(٤) سنن الدارمي ١/ ٦٦ وشرح السُّنة للبغوي ١/ ٢١٦.

* وقال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: «السُّنة إنما سنها من علم ما في خلافها من الزلل، ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم»(١).

* كما أن السلف يُطلقون السُّنة على العمل الذي شرعه الرسول ﷺ مقابل ما لم يشرعه الرسول ﷺ وهو البدع والمحدثات، فإن كلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة منافية للسنة، وهذه قاعدة عظمى في الإسلام تستند إلى أصول الدين ونصوصه القاطعة، مثل قوله ﷺ: «عليكم بسنتي...(٢)» وقوله ﷺ: «وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»(٣)، وقوله ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»(٤)، وقوله

(١) الشرح والإبانة (١٢٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة ١/ ٢٩، الحديث رقم (٥٤) وقال فيه الألباني: إسناده صحيح، ورجاله ثقات. وأخرجه ابن ماجه وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٨٦٧).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة ١/ ١٩ الحديث (٣١) وقال فيه الألباني: إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات. وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد والحاكم.

ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[١].

وإطلاق السلف لكلمة (السُّنة) مقابل البدعة، كثير وافر، منه:

* قول ابن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهم، رضي الله عنهم «القصد في السُّنة خير من الاجتهاد في البدعة»[٢].

* وقول عبدالله بن مسعود أيضاً رضي الله عنه: «اتبعوا ـ يعني السُّنة ـ ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[٣].

* وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن»[٤].

* وقول ابن سيرين يرحمه الله، ت ١١٠هـ: «ما أخذ رجل

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما عن عائشة، انظر فتح الباري ٥/ ٥٤ ومسلم الحديث رقم (١٧١٨) ٣/ ١٣٤٤.

(٢) أخرجه الدارمي ١/ ٧٢، والبغوي في شرح السنة ١/ ٢٠٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي، المستدرك ١/ ١٠٣.

(٣) سنن الدارمي ١/ ٦٩.

(٤) البدع لابن وضاح ص (٣٨).

بدعة فراجع سنة»[١].

* وقول غضيف بن الحارث يرحمه الله، ت ٦٥ هـ: «لا تظهر بدعة إلا ترك من السنة مثلها»[٢].

* وقول أبي إدريس الخولاني يرحمه الله، ت ٨٠هـ: «وما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله عنهم بها سنة»[٣].

ومثله عن حسان بن عطية وخلاس بن عمرو يرحمهما الله، وغيرهما[٤].

* وقال الفضيل بن عياض يرحمه الله، ت١٨٧هـ: «أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة ينهون عن أصحاب البدع»[٥].

* وقال سفيان الثوري يرحمه الله، ت١٦١هـ: «اتبع السُّنة ودع البدعة»[٦].

ففي هذه الآثار نجد أن هؤلاء الأَئمة، كانوا يقصدون بالسُّنة

---

(١) الدارمي ١/ ٦٩ والشرح والإبانة لابن بطة ص(١٣٣).

(٢) الشرح والإبانة ص١٤٣.

(٣) البدع لابن وضاح ص(٣٦).

(٤) انظر الدارمي ١/ ٤٥ والبدع لابن وضاح ص (٣٧، ٣٨).

(٥) الشرح والإبانة لابن بطة ص (١٥٣).

(٦) شرح السنة للبغوي ١/ ٢١٧.

ما شرعه الرسول ﷺ وأثر عنه من أمور الدين، وأن كل ما أحدثه الناس من أمور الدين بعده بدعة محدثة، خلاف السُّنة المأثورة، لذلك كانوا يصفون من كان متبعاً لهدي النبي ﷺ والصحابة وأئمة الهدى بأنه (صاحب سُنة) ويصفون من تلبس بشيء من البدع والأهواء بـ (صاحب بدعة)، من ذلك:

* قول عبدالرحمن بن مهدي يرحمه الله، ت١٩٨هـ: «إذا رأيت بصريًّا يحب حماد بن زيد فهو صاحب سُنة»[١] أي أنه ليس من أصحاب الأهواء والبدع؛ لأَن حماداً من أهل السُّنة فلا يحبه إلا صاحب سُنة.

* وقيل لأَبي بكر بن عياش يرحمه الله، ت ١٩٣هـ: إن ناساً يجلسون ويجلس إليهم الناس، ولا يستأهلون. فقال أبو بكر: «كل من جلس جلس إليه الناس، وصاحب السنة إذا مات أحيا الله ذكره، والمبتدع لا يذكر»[٢].

* وقال عون بن عبدالله يرحمه الله، ت١٢٠هـ: «من مات

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ١٨٣ واللالكائي ١/ ٦٢ الأثر رقم (٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه «كتاب العلل» ٥/ ٧٣٩.

على الإسلام والسُّنة فله بشير بكل خير»[١].

* وقال قتيبة بن سعيد يرحمه الله، ت٢٤٠هـ: «إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث، مثل يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ابن مهدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ـ وذكر قوماً آخرين ـ فإنه على السُّنة، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع»[٢].

* وقال معافى بن عمران يرحمه الله، ت١٨٦هـ: «لا تحمدن رجلاً إلا عند الموت، إما أن يموت على السُّنة أو يموت على بدعة»[٣]. فكانوا يُطلقون السُّنة على ما سلم من البدع والأهواء والشبهات، وهو الدين والحق الذي سنه الرسول ﷺ.

رابعاً: السنة قد يُراد بها النافلة:

وقد جاء ذكر السُّنة بمعنى النافلة؛ مقابل الفريضة، أو مرادفة للمستحب[٤]، أو كما عبَّر عنها الفقهاء: (ما ثبت عن

---

(١) اللالكائي ١/ ٦٧.

(٢) اللالكائي ١/ ٦٧.

(٣) اللالكائي ١/ ٦٧.

(٤) انظر فتح الباري ١٣/ ٢٤٥.

النبي ﷺ من غير افتراض، ولا وجوب، أو ما ليس بواجب)[١]، ومن ذلك قوله ﷺ فيما رواه أبو سلمة بن عبدالرحمن عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عزَّوجلّ فرض عليكم صيام رمضان وسننت لكم قيامه..» الحديث[٢]. وفي لفظ: «إن رمضان شهر فرض الله عز وجل صيامه، وإني سننت للمسلمين قيامه..» الحديث[٣]. فقد بيّن ﷺ أنه سنّ (سننت) قيام رمضان، أي جعلته نافلة مسنونة، فالسُّنة مقابل الفرض تعني النافلة، كما هو معلوم في مشروعية صلاة القيام في رمضان.

والسلف رضي الله عنهم يطلقون السنة على الأمر المسنون غير المفروض (النافلة):

* من ذلك قول مكحول الشامي يرحمه الله، وتقسيمه السنة، حيث قال: «السنة سنتان: سنة الأخذ بها فريضة وتركها كفر، وسنة الأخذ بها فضيلة وتركها إلى غيرها حرج»[٤].

---

(١) إرشاد الفحول للشوكاني ٣٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٩١.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٩٥.

(٤) سنن الدارمي ١/ ١٤٥.

فقد قسم السُّنة بمعناها الشامل إلى واجبة[١] ودونها.

والثانية أي السُّنة التي دون الواجبة هي المقصودة هنا.

وهذا النوع هو المقصود عند بعض الفقهاء حين عرفوا السُّنة بأنها: «ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض ولا وجوب»[٢].

خامساً: وتطلق السنة على حال السلف في العلم والعمل: بمعنى (الاتباع):

فالسلف يُطلقون السُّنة على ما كان عليه الصحابة، والتابعون، وجماعة المسلمين، في الصدر الأول، وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين، من الاتباع والاقتداء بسنن الهدى والصراط المستقيم، والتمسك بالحق المبين، المنقول عن الرسول ﷺ في العلم والقول والعمل، والهدي الظاهر والباطن، لذلك كانوا يسمون أهل الحق المتبعين للسُّنة: (أهل السُّنة والجماعة)، وهذه الدلالة واضحة في عامة أقوال السلف، ومن ذلك:

---

(١) يشير بذلك إلى الأُصول والفرائض كما ذكرت آنفاً.

(٢) إرشاد الفحول للشوكاني ٣١.

* قـول أبي ذر رضـي الله عنه: «أمـرنـا رسـول الله ﷺ أن لا تغلبـونا علـى ثلاث: أن نـأمر بـالمعـروف، وننهى عن المنكـر، ونعلم الناس السُّنن»(١).

* وقال عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه: «إنه سيأتـي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخـذوا بالسُّنن فإن أصحاب السُّنن أعلم بكتاب الله»(٢).

* وقال علي بن أبي طالـب رضـي الله عنه: «الهوى عند من خالف السُّنة حق، وإن ضربت فيه عنقه»(٣).

* وقال سعيـد بن جبير يـرحمه الله، في تفسيـر قوله تعـالى: ﴿وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ قال: لزوم السُّنة والجماعة(٤).

* وقال ابن شـوذب يرحمه الله، ت ١٠٧ هـ: «من نعمة الله على الشاب والأعجمـي إذا تنسكا أن يُوفّقا لصـاحب سُنة(٥) ـ

---

(١) سنن الدارمي ١/ ١٣٦.
(٢) سنن الدارمي ١/ ٤٩.
(٣) الشرح والإبانة لابن بطة ١٢٢.
(٤) الشرح والإبانة لابن بطة ١٢٨ وشرح أصول الاعتقاد للالكائي ١/ ٧١.
(٥) الشرح والإبانة ١٣٣.

أي لرجل صالح متبع للسُّنة ـ».

* وقال عمرو بن قيس الملائي يرحمه الله، ت ١٤٣هـ: «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السُّنة والجماعة فارجه»[١].

* وقال مالك بن مغول يرحمه الله ، ت١٥٩هـ: «إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسُّنة[٢] فألحقه بأي دين شئت»[٣].

* وقال الأوزاعي يرحمه الله، ت١٥٧هـ: «خمس كان عليها أصحاب النبي ﷺ: لزوم الجماعة، واتباع السُّنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن ،وجهاد في سبيل الله... إلخ»[٤].

* وقال الزهري يرحمه الله، ت١٣٥هـ: «كان من مضى من علمائنا يقول: الاعتصام بالسنة نجاة»[٥].

فالسُّنة هي الهدي والدين، الذي تلقاه الصحابة عن

---

(١) المصدر السابق ١٣٣.

(٢) في هذا إشارة إلى خطأ الفرق والاتجاهات والجماعات التي تتخذ أصولاً ومناهج وشعارات وأسماء تنتمي إليها غير السُّنة والجماعة.

(٣) المصدر السابق ١٣٧.

(٤) شرح السُّنة للبغوي ١/ ٢٠٩.

(٥) اللالكائي ١/ ٩٤، الأثر (٩٤) وعزاه المحقق لابن المبارك في الزهد ١/ ٢٨١، وأخرجه الدارمي في السنن، باب اتباع السُّنة ١/ ٤٥.

رسول الله ﷺ وأخذها عنهم التابعون، وأئمة الهدى في كل العصور، وهي الطريقة والمنهاج الذي درج عليه السلف أهل الأَثر، الآخذون بسُنة النبي ﷺ الذين توارثوه جيلاً بعد جيل، رواية ودراية وسلوكاً.

* يقول ابن منظور في لسان العرب، بأن السُّنة تطلق على: «الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السُّنة، معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة»[١].

والطريقة المستقيمة المحمودة هي طريقة السلف الصالح، فهي مستقيمة على السُّنة، محمودة من الله حيث رضيها لعباده، وأوصى باتباعها رسوله ﷺ، ثم محمودة من أهل الفضل والاستقامة.

سادساً: وتطلق السنة على أصول الدين ومسائل العقيدة:

كما أن السلف يطلقون على أصول الدين وفرائض الإسلام وأمور الاعتقاد، والأَحكام القطعية في الدين: السُّنة، وقد ساد هذا الاصطلاح في القرن الثالث الهجري، في عصر الإمام أحمد، حين ظهرت الفرق وراجت عقائد المعتزلة، والرافضة،

---

(١) لسان العرب (سنن) ١٣/ ٢٢٦.

والصوفية، وأهل الكلام[١].

فأخذ أئمة الإسلام حينذاك يطلقون على أصول الدين ومسائل العقيدة: (السُّنة)؛ تمييزاً لها عن مقولات الفرق، كما اشتهر إطلاق (أهل السُّنة والجماعة) على أهل الحق تمييزاً لهم عن (الفرق) أهل الأَهواء في أصول الدِّين.

وهذا ـ أي وصف العقيدة وأصول الدين بالسنة ـ وإن كان معروفاً في عصر الصحابة إلا أنه لم يكن مشهوراً، إنما يدل عليه مثل قول ابن عمر رضي الله عنهما: «من ترك السُّنة كفر»[٢]. فإن التكفير من الصحابة، لا يكون إلا في أمر عظيم، كأصول الدين وأمور الاعتقاد، كما يدل عليه قول عليّ رضي الله عنه: «الهوى عند من خالف السُّنة حق وإن ضربت فيه عنقه»[٣]. فإن مثل هذا الحكم إنما يتأتى في أصحاب العقائد

---

(١) إطلاق أهل السنة على المتمسكين بالحق، المجانبين للأهواء والافتراق، بدأ منذ ظهرت الفرق في القرن الأول، ودعوى بعضهم بأن مصطلح أهل السنة إنما جاء في العصور المتأخرة، دعوى باطلة؛ فقد ثبت في صحيح مسلم عن ابن سيرين ت (١١٠هـ) أنه قال: (...فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم...) انظر صحيح مسلم ١/ ١٥.

(٢) الشرح والإبانة ١٢٣.

(٣) الشرح والإبانة ١٢٢.

والأهواء والفرق الضالة.

* ويشهد لـه قول أبي بكـر الصديق رضي الله عنـه: «السُّنة حبل الله المتين»[١]. فإن هـذا الـوصف للسُّنـة وصف لأُصـول الدين أولاً، وغيرها بالتبع.

* كما يشهـد له قول عمـر رضي الله عنه: «أصحـاب الرأي أعداء السنن»[٢].

* أما إطـلاق السلف في القرن الثـالث، وما بعـده (السُّنة) على أمور الاعتقـاد، وأصول الديـن، فإنه يتضح من مصنفـاتهم في الاعتقاد، حيث كانوا يسمونها (السُّنة) من ذلك:

١ ـ السُّنـة ـ رسـالة لـلإمام أحمـد ـ يـرحمه الله، فـي عرض بعض مسائل الاعتقاد.

٢ ـ كتاب السُّنـة لأَبي عبدالرحمن عبدالله بـن الإمام أحمد ابن حنبل، يـرحمهما الله، وهـو في مسائل العقيـدة، توفـي سنة (٢٩٠هـ).

٣ ـ السُّنة لأَبي بكر بن الأَثرم في العقيدة، توفي سنة (٢٧٢هـ).

---

(١) الشرح والإبانة ١٢٠.

(٢) الشرح والإبانة ١٢١.

٤ ـ كتاب السُّنة لابن أبي عاصم في العقيدة، توفي سنة (٢٨٧هـ).

٥ ـ السُّنة لمحمد بن نصر المروزي في العقيدة، توفي سنة (٢٩٤هـ).

٦ ـ صريح السُّنة لأَبي جعفر الطبري، جزء في العقيدة، توفي سنة (٣١٠هـ).

٧ ـ السُّنة لأَحمد بن محمد الخلال في العقيدة، توفي سنة (٣١١هـ).

٨ ـ شرح السُّنة لابن أبي زمنين في العقيدة، توفي سنة (٣٩٩هـ).

٩ ـ الشرح والإبانة على أصول السُّنة والديانة لابن بطة في الاعتقاد، توفي سنة (٣٨٧هـ).

كما ساد في ذلك الزمن وصف صاحب المعتقد السليم بأنه: صاحب سنة[١].

واستفاض وصف أهل الحق وأئمة الهدى ومن اقتدى بهم بأهل السُّنة والجماعة، وبهذا ندرك أن لفظ (السُّنة) في هذا

---

(١) راجع قول ابن شوذب ص(٤٢) من هذا البحث.

العصر، القرن الثالث الهجري وما بعده، كانوا يعنون به أصول الدين في الغالب.

فاشتهر إطلاق السُّنة على العقيدة السليمة، ومنهج السلف الصالح، في أصول الدين. فإذا قيل: مذهب أهل السُّنة، فإن المقصود بهم عقيدتهم ومذهبهم في الاعتقاد وأصول الدين.

يقول الإمام ابن أبي عاصم يرحمه الله، ت ٢٨٧هـ في كتابه: «السُّنة»: سألت عن السُّنة ما هي؟:

«والسُّنة اسم جامع لمعان كثيرة، في الأَحكام وغير ذلك، ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السُّنة: القول بإثبات القدر..». ثم ذكر كلاماً في القدر، وقال: «والقرآن كلام الله تبارك وتعالى» ثم قال: «والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وإثبات رؤية الله عز وجل». وذكر فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وخص الخلفاء الراشدين، وذكر عذاب القبر، ومنكر ونكير، والشفاعة، والحوض، والميزان، والوعد، والوعيد، والصلاة، والجهاد خلف الأَئمة، والأَمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[1]. وكل هذه المسائل من أصول الدِّين، ومسائل الاعتقاد، فقد فسر فيها ـ

---

(١) كتاب السُّنة ٢/ ٦٤٥ ـ ٦٤٧.

يرحمه الله ـ مفهوم السُّنة.

ويقول ابن رجب في جامع العلوم والحكم: «وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السُّنة بما يتعلق بالاعتقاد، لأنها أصل الدِّين والمخالف فيها على خطر عظيم»(١).

مفهوم السنة عند المتأخرين :

وفي عصرنا هذا ساد إطلاق السُّنة لدى كثير من الناس على مفهومين:

أحدهما: مفهوم السُّنة عند الباحثين، والمؤسسات التعليمية ومراكز البحوث، والجامعات، والمكتبات، وطلاب العلم، ويقصدون بها ـ غالباً ـ الحديث النبوي وعلومه، وما تفرع عنهما.

الثاني: مفهوم السُّنة لدى العامة، ويقصدون بها ـ غالباً ـ السنن العملية، والأمر الشرعي، أو الحكم المسنون دون المفروض ـ كالنوافل والمستحبات والرغائب، وما كان دون الفرض من المطالب الشرعية، وهذا له أصل في الشرع، كما مر بيانه.

والخلاصة : أن للسُّنة في الاصطلاح الشرعي مفهوماً عامًّا، وهو أنها تعني الدين الذي جاء به الرسول ﷺ من العلم والعمل

(١) جامع العلوم والحكم ٢٣٠.

والهدي، ومفهومات تتفرع عن هذا المفهـوم، كالسُّنة مقابل القرآن الكريـم، والسُّنة بمعنى المشروع، خـلاف البدعة، والسنـة بمعنى الاتبـاع، والسُّنـة بمعنى أصـول الـدين والاعتقـاد السليم، والسُّنـة بمعنى الحديث، والسُّنة بمعنى النافلة، ونحو ذلك، والله أعلم.

□ □ □

المبحث الثاني
في مفهوم الجماعة

ويشمـــل:

تعريف الجماعة لغة.

تعريف الجماعة في الاصطلاح الشرعي.

أولاً: جماعة الصحابة رضي الله عنهم في عصرهم.

ثانياً : الجماعـة هم أهل العلم وأئمة الهدى المقتـدى بهم في الدين.

ثالثاً : الجماعة بمعنى: الاجتماع على الحق وعدم الفرقة.

رابعاً : الجمـاعة هـي: مجموع المسلميـن وسوادهـم الأعظم الذين على السنة.

خامساً : الجماعة هم: أهل الحل والعقد.

سادساً : الجماعة هم: الفريق من الناس الذي يجتمع على أمرٍ ما.

سابعاً : الجماعة : قد تشمل مجموع المعاني السابقة أو بعضها.

خلاصة القول في مفهوم الجماعة.

الخارجون عن مفهوم الجماعة.

المبحث الثاني
في مفهوم الجماعة

*** تعريف الجماعة لغة :**

الجماعة لغة: أخذت من عدة معاني:

١ ـ من الاجتماع: وهو ضد التفرق، وضد الفُرْقة.

يقال: تَجمَّع القوم، إذا اجتمعوا من هنا وهنا[١]. وجَمَعَ المتفرِّق: ضم بعضه إلى بعض، وجمع إليه القلوب: أَلَّفَها[٢].

٢ ـ ومن الجَمْع: وهو اسم لجماعة الناس، والجَمْعُ مصدرُ قولك: جمعتُ الشيء[٣].

فالجماعة في اللغة إذا أريد بها جماعة الناس، فهم القوم المجتمعون على أمر ما.

قال الفراء: إذا أردت جمع المتفرق قلت: جمعت القوم، فهم مجموعون[٤].

(١، ٢، ٣، ٤) راجع: لسان العرب (جمع) ٨/ ٥٣ ـ ٥٧، المعجم الوسيط (جمع) ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦، مختار الصحاح (جمع) ١١٠ ـ ١١١.

٣ ـ ومن الإِجْمَاع: وهو الاتفاق والإحكام، يقال: أجمع الأمر أي أحكمه[١]. ويقال: أجمع أهل العلم: أي اتفقوا.

والجماعة: العدد الكثير من الناس[٢]، وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد.

وسميت جماعة: (لأَن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين)[٣].

تعريف الجماعة في الاصطلاح الشرعي:

إن مفهوم الجماعة، كما ورد في السُّنة، وكما عبر عنه الصحابة والتابعون وسلفنا الصالح يدور على عدة معان منها:

أولاً: جماعة الصحابة رضوان الله عليهم في عهدهم:

فجمهور الصحابة رضي الله عنهم في عهدهم عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين بخاصة، هم الجماعة، فقد كانوا

---

(١) راجع: لسان العرب (جمع) ٨/ ٥٣ ـ ٥٧، المعجم الوسيط (جمع) ١/ ١٣٥ ـ ١٣٦، مختار الصحاح (جمع) ١١٠ ـ ١١١.

(٢) المعجم الوسيط (جمع) ١/ ١٣٦.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٥٧.

مجتمعين على الحق في سائر أمورهم، في الإمامة، والأحكام، والجهاد، وسائر أمور الدين والدنيا، ولأنهم رضوان الله عليهم هم نقلة الدين، وحملة الرسالة الذين توفى الرسول ﷺ وهو عنهم راضٍ وقد زكاهم الله، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة، قال الشاطبي في عرضه لأقوال الناس في مفهوم الجماعة:

«الثالث: أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص، فإنهم الذين أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لايجتمعون على ضلالة أصلاً، ولا يمكن فيمن سواهم ذلك»[1].

ولعل الجماعة هنا هي المقصود بما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة أبداً ـ قال ـ يد الله على الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذّ شذّ في النار»[2]. فإن السواد

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٦٢.

(٢) أخرجه اللالكائي في الشرح ١/ ١٠٦، وقال المحقق: (سنده حسن)، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة، الحديث رقم ٨٠١ وضعفه الألباني ـ السُّنة ١/ ٣٩، ٤٠.

الأَعظم هم الذين على الحق، وهم سائر الصحابة في عهدهم، وهم التـابعون، وأئمة الـدين والهدى، المقتدى بهـم، ومن اتبع سبيلهم[١].

فالصحـابة هم الجماعـة في عهد رسـول الله ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين، الذيـن أعز الله بهم الإسلام، وآزروا الرسول ﷺ ووقروه ونصـروه، وهم أول وأفضل جماعة فـي الإسلام، فإن نصوص الجماعة الواردة فـي السُّنة إنما تنصرف إليهم هم أولاً؛ لسبقهم في الـزمن والفضل؛ ثـم إلى كل جمـاعة على السُّنـة، والحق فـي الإسـلام، لأَنهـا امتـداد لهم بـالاهتـداء والاقتـداء، فـالجمـاعة مـن التابعيـن هم علـى نهج جمـاعة الصحـابـة، وسمتهم وسنتهـم، وكذلك التـابعين لهم مـن سلفنا الصـالح، إنما هم متبعـون للجماعة والسُّنـة، يرثون عنهـا العلم والعمل، جيلاً بعد جيل، حتى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة.

---

(١) مفهوم السواد الأَعظم بعد الافتراق مخصص ومفسَّر بحديث الافتراق، أي أن السواد الأَعظم هم أهل السُّنـة والجماعة، ولا عبرة بأكثريـة الفرق لأَنها هالكـة، وإنما العبرة بمن كـان على الحق، وهم الفرقـة الناجية، وهـذا ما يقتضيه الجمع بين النصوص، والله أعلم.

ثانياً : وتطلق الجماعة على: أهل العلم وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدِّين وأتباعهم، وهم الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة:

فقد جاء إطلاق الجماعة على أهل العلم والفقه في الدين، وأهل الحديث، وأئمة الهدى المقتدى بهم، العاملين بالسنة، ومن سلك نهجهم، واتبع سبيلهم، فهؤلاء هم المقتدون بالنبي ﷺ وأصحابه الذين هم جماعة المسلمين الأولى، وكل جماعة على الحق هي امتداد لهم، وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم وأتباعهم، أهل السُّنة والجماعة الفرقة الناجية التي نوَّه عنها النبي ﷺ بقوله في الحديث الذي رواه عوف بن مالك، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم: «وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة»[1].

---

(١) هذا لفظ أبي داود في سننه «كتاب السنن» باب شرح السُّنة، الحديث (٤٥٩٧) ٥/ ٥، ٦ ـ وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٠٢، وابن ماجه في كتاب «الفتن» باب افتراق الأُمم، برقم (٣٩٩٢، ٣٩٩٣) ٢/ ١٣٢٢، وابن =

وهذا دليل على أن الجماعة هم الذين على السُّنة، وهم الفرقة الناجية، وإن قلوا كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «إنما الجماعة ما وافق طاعة الله، وإن كنت وحدك»[١]. وهذا يعني أن الذين لم يكونوا على السُّنة فليسوا من الجماعة، مهما كثر عددهم.

ولما سئل عبدالله بن المبارك يرحمه الله، ت١٨١هـ عن الجماعة قال: «أبو بكر وعمر، فقيل له: قد مات أبو بكر وعمر! قال: ففلان وفلان، قيل: قد مات فلان وفلان، قال ابن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة»[٢]. وأبو حمزة السكري هو محمد بن ميمون المروزي المتوفى سنة ١٦٨هـ[٣]، وقال عنه ابن المبارك بأنه جماعة: أي أنه رجل فاضل صالح، على

= أبي عاصم في السُّنة ١/ ٣٢، ٣٣ تحت الأرقام (٦٣، ٦٤، ٦٥). وقال الألباني في تعليقه على الحديث: «والحديث صحيح قطعاً لأن له ست طرق أخرى عن أنس وشواهد عن جمع من الصحابة» السُّنة ١/ ٤٢.

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة ـ للالكائي ١/ ١٠٩.

(٢) شرح السُّنة للبغوي ١/ ٢١٦.

(٣) تقريب التهذيب ٢/ ٢١٢.

السُّنة وعلى منهج السلف الصالح، متبع لسبيل الجماعة، أهل الحق، فالعبرة ليست بكثرة العدد، إنما باتباع السُّنة، وترك الابتداع، فالذين يستدلون على مشروعية البدع بكثرة أتباعها حجتهم داحضة.

وقد فسر البخاري يرحمه الله الجماعة، بأهل العلم، فقال في الجامع الصحيح ـ كتاب الاعتصام:

«باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم»(١).

وقال ابن حجر في شرحه لقول البخاري هذا: «فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل العلم الشرعي»(٢).

ومثل البخاري إذا أطلق أهل العلم، فإنما يعني بهم: العاملين بالسُّنة، على علم وهدى وبصيرة.

ونقل ابن حجر في فتح الباري، عن الطبري، قوله في تعريف الجماعة: «وقال قوم: المراد بهم أهل العلم؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين»(٣).

---

(١) فتح الباري ١٣/ ٣١٦. (٢) فتح الباري ١٣/ ٣١٦.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٣٧.

ثالثاً : وتطلق الجماعة على الاجتماع على الحق وعدم الفرقة:

فالجماعة بهذا المفهوم ما عليه عامة المسلمين وسوادهم، من أمورهم ومصالحهم العامة، خاصة في الصدر الأول، فقد جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قوله ﷺ: «...والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»(١).

فإن الاعتصام بما عليه الجماعة، رحمة ونجاة، والفرقة والشذوذ عنهم هلكة وضلال، يوجب العذاب.

ومثله حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨، ٣٧٥ وابن أبي عاصم في السُّنة، الحديث (٩٣) ١/ ٤٤ وقال الألباني في تخريجه للحديث: «إسناده حسن ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه الترمذي في الفتن، الحديث (٢١٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والحاكم في المستدرك ١/ ١١٤، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص، وانظر مسند الإمام أحمد في المسند ١/ ١٨، ٢٦ .

وقال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه لما سئل عن الفتنة: «عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة ـ ثم قال ـ: وإياك والفرقة فإن الفرقة هي الضلالة»[١].

ومن ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الذي تكرهون في الجماعة خير من الذي تحبون في الفرقة»[٢].

ومثله قول علي رضي الله عنه في مسألة بيع أم الولد يخاطب الصحابة في عهده: «اقضوا ما كنتم تقضون فإني أكره الاختلاف حتى يكون للناس جماعة..»[٣].

ومنه قول عبيدة بن عمر السلماني يرحمه الله، ت٧٢هـ لعلي رضي الله عنه: «رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إليَّ من رأيك وحدك في الفرقة»[٤].

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٦١.

(٢) اللالكائي ١/ ١٠٨ والاعتصام للشاطبي ٢/ ٢٦١.

(٣) صحيح البخاري «كتاب فضائل الصحابة» باب مناقب علي ـ رضي الله عنه ـ فتح الباري ٧/ ٧١ ـ ٧٣.

(٤) فتح الباري ٧/ ٧٣.

وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه، عن طريقة أهل السُّنة والجماعة، حيث قال: «سموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً للقوم المجتمعين»(١).

كما يدل عليه قول أبي شامة يرحمه الله: «وحيث جاء الأَمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً، والمخالف كثيراً؛ لأَن الحق: الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم»(٢).

رابعاً: وتطلق الجماعة على مجموع المسلمين وسوادهم الأَعظم الذين على السنة، إذا اجتمعوا على إمام أو أمر من أمور الدين التي لها أصل في الشرع، أو أمر من مصالح الدنيا:

وهذا الإطلاق هو المتبادر في مفهوم الجماعة، إذا لم يقيد بقيد، فالجماعة هنا هي جمهور المسلمين، المتمسكين بالسنة، إذا اجتمعوا على أمر من أمورهم، ومصالح المسلمين

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ١٥٧.

(٢) الباعث لأَبي شامة ١٩.

العظمى، في الدين والدنيا، كالإمامة، والجهاد؛ فإن الشذوذ عنهم ومخالفتهم هلكة، وشقاق، وخروج من الجماعة، حذر منه الدين.

فمن ذلك ما أخرجه البخاري في الجامع الصحيح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال:

«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني...». ثم ذكر شيئاً من الشر والفتن، فقال حذيفة رضي الله عنه: «فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»(١).

* وحديث أسامة بن شريك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يد الله على الجماعة»(٢).

---

(١) متفق عليه: انظر صحيح البخاري «كتاب الفتن» باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، الحديث (٧٠٨٤)، فتح الباري ١٣/ ٣٥. ومسلم، الحديث (١٨٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنن ١/ ٤٠ وصححه الألباني.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يد الله مع الجماعة»[١].

* وحديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره ما يكره فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية»[٢].

* وحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[٣].

* وقال بعض أهل العلم: المراد أنه ترك جماعة المسلمين بمفارقته لدينه[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه «كتاب الفتن» باب (٧) الحديث (٢١٦٦) وقال: هذا حديث حسن غريب ٤/ ٤٦٦.

(٢) صحيح البخاري «كتاب الفتن» باب (٢) الحديث (٧٠٥٤) فتح الباري ١٣/ ٥، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه «كتاب الديات» باب (٦) الحديث (٦٨٧٨) فتح الباري ١٢/ ٢٠١، ومسلم الحديث (١٦٧٦).

(٤) انظر شرح ابن حجر للحديث في فتح الباري ١٢/ ٢٠١، ٢٠٢.

* ومنه قوله ﷺ في حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه: «...ثلاث خصال لا يُغِلُّ عليهن قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم»[١].

* وقال الطبري فيما حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري: «والصواب أن المراد من الخبر[٢] لزوم الجماعة، الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة» اهـ[٣].

فأكثر نصوص الجماعة التي وردت في السُّنة إنما تنصرف إلى هذه المعاني، أي: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير أو أمر من أمور دينهم، أو دنياهم، ممثلين بأغلبهم، أو بعلمائهم وأهل الفضل والصلاح والاستقامة، وأهل الحل والعقد ـ وإن لم

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنة الحديث رقم (٩٤) ١/ ٤٥، وذكر الألباني أن إسناده صحيح.

(٢) يعني بذلك قوله ﷺ لحذيفة رضي الله عنه: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم».

(٣) فتح الباري ١٣/ ٣٧.

يكونوا هم الأكثرون ـ وذلك كله مشروط باتباع السُّنة والمعروف[١].

خامساً : وتطلق الجماعة على أهل الحل والعقد:

كما تطلق الجماعة على أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء والقواد والولاة والقضاة والأعيان، أو بعضهم إذا اجتمعوا على أمر من مصالح المسلمين، كتولية إمام وبيعته، أو عزله، ونحو ذلك، وأجدر من يكون من أهل الحل والعقد من المسلمين هم العلماء ــ علماء الشريعة ــ المقتدى بهم في الدين، ثم يليهم الأمثل فالأمثل من أهل الفضل والصلاح والرياسة، ممن لقوله وفعله أثر في تقرير مصالح الأمة، وتصريف أمورها.

فقد نقل ابن حجر عن ابن بطال قوله: «والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر»[٢]. وأهل الحل والعقد كما أسلفت يشمل أهل العلم من باب الأولى، وهذا جزء من مفهوم الجماعة الواسع، فإن أهل الحل والعقد إذا اجتمعوا على شيء من مصالح المسلمين كبيعة حاكم، أو إقامة

(١) أقصد بالمعروف هنا المفهوم الشرعي أي ضد المنكر.

(٢) فتح الباري ١٣/ ٣١٦.

الجهاد، فإنهم يمثلون الجماعة. والله أعلم.

سادساً ــ وتطلق الجماعة على الفريق من الناس الذي يجتمع على شيء ما (دون الجماعة الكبرى) وعلى المصلين جماعة في المسجد:

ورد في السُّنة ، وفي ألفاظ السلف، إطلاق كلمة: الجماعة على الفريق من الناس، الذي يجتمع على طعام أو سفر أو صلاة أو طلب علم، أو أي أمر من الأمور التي يجتمع عليها الناس، من مصالح الدنيا والدين، وهي دون الجماعة العظمى، ومن ذلك:

* قوله ﷺ في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كُلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة»[١]. أي الذين يجتمعون على الطعام، كما يفهم منه بركة الجماعة بما هو أعم من باب أولى.

* وحديث جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: «..وكان

---

(١) سنن ابن ماجه «كتاب الأَطعمة» باب (١٧) الاجتماع على الطعام، الحديث رقم(٣٢٨٧) ٢/ ١٠٩٣، ١٠٩٤، (حديث حسن) قاله الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤/ ١٦٨ .

رسول الله ﷺ يأمرنا إذا فزعنا بالجماعة، والصبر والسكينة إذا قاتلنا»[١]. أي إذا جاءهم ما يفزعهم ويخيفهم، فعليهم بالاجتماع والاتفاق والتعاون.

* ومن ذلك قول البخاري في الصحيح: «باب اثنان فما فوقهما جماعة»[٢]. والمراد بذلك: في الصلاة، ويقاس عليها غيرها.

* وجاء إطلاق الجماعة على الذين يشهدون الصلاة في المسجد مع الإمام، وذلك نحو قوله ﷺ في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»[٣].

* وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن عمر وغيره: «صلاة

---

(١) أخرجه أبو داود «كتاب الجهاد» باب في النداء عند النفير ـ الحديث (٢٥٦٠) ٣/ ٥٥، ٥٦.

(٢) «كتاب الأذان» باب (٣٥) فتح الباري ٢/ ١٤٢.

(٣) صحيح مسلم «كتاب المساجد» باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة ـ الحديث (٦٥٦) ١/ ٤٥٤

الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»[١]. أي الجماعة المصلين مع الإمام في المسجد؛ لقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى: الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه»[٢].

* فكل من صلى في المسجد خلف الإمام الراتب فهم الجماعة بهذا المفهوم.

سابعاً : وتطلق الجماعة على مجموع تلك المعاني أو بعضها أو أكثرها:

أي أن بعض الألفاظ الشرعية التي نصت على الجماعة في السُّنة، وفي ألفاظ السلف، قد تجمع أكثر تلك المعاني التي مر ذكرها أو بعضها، بحيث يجوز تفسير الجماعة حسب سياق النصوص، ومنطوقها، أو مفهومها، على أحد أو بعض هذه المعاني المشار إليها أو أكثرها، لذلك نجد تفسيرات كثيرة

---

(١) صحيح مسلم «كتاب المساجد» باب فضل صلاة الجماعة، الحديث (٦٥٠) ١/ ٤٥٠.

(٢) صحيح مسلم «كتاب المساجد» باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، الحديث (٦٥٤) ١/ ٤٥٣.

لمفهوم الجماعة قال بها الأَئمة، وقد أشار إلى بعضها الشاطبي في الاعتصام، ولعله من المفيد أن أذكرها بإيجاز:

* قال: «فاختلف الناس في معنى الجماعة المرادة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال:

أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام، وهو الذي يدل عليه كلام أبي غالب: إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق[١]، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم، فهو مخالف للحق»[٢]. وذكر أن ممن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري، وعبدالله بن مسعود، رضي الله عنهما[٣]، ثم قال: «فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن

(١) في هذا إشارة إلى أنه ليس المقصود بالسواد الأعظم: الأكثر عدداً مطلقاً، كما يزعم كثير من الطوائف المبتدعة، الذين يستدلون على مشروعية بدعهم بعمل الأكثر بها، كبدع الموالد.

(٢) الاعتصام ٢/ ٢٦٠.

(٣) انظر الاعتصام ٢/ ٢٦١.

سواهم داخلون في حكمهم؛ لأنهم تابعون لهم، ومقتدون بهم، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا، وهم نهبة الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع؛ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة لم يدخلوا في سوادهم بحال[١].

والثاني: أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، فمن خرج مما عليه علماء الأُمة، مات ميتة جاهلية؛ لأَن جماعة الله[٢] العلماء، جعلهم الله حجة على العالمين، وهم المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة»[٣][٤].

وممن قال بهذا عبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه

---

(١) انظر الاعتصام ٢/ ٢٦١. (٢) كذا في الاعتصام.

(٣) جاء ذلك في حديث أخرجه الترمذي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ كتاب الفتن ـ باب ما جاء في لزوم الجماعة ٤/ ٤٦٦ الحديث (٢١٦٧)، وله شاهد عند أحمد في المسند ٥/ ١٤٥ والحاكم في المستدرك ١/ ١١٥، والدارمي ١/ ١٤٥، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٧٨.

(٤) الاعتصام ٢/ ٢٦١.

وجماعة من السلف وهو رأي الأصوليين»[١]. وقال عن أهل التقليد وأهل البدع: «فعلى كل تقدير لا يدخلون في السواد الأعظم رأساً»[٢].

والثالث: «أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص: فإنهم أقاموا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً»[٣]. ثم ذكر أن ممن قال بذلك عمر بن عبدالعزيز، وأيده مالك على ذلك[٤]، ثم قال الشاطبي: «فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى في قوله عليه الصلاة والسلام: «ما أنا عليه وأصحابي»[٥]. فكأنه

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٦١.

(٢) الاعتصام ٢/ ٢٦٢.

(٣) الاعتصام ٢/ ٢٦٢.

(٤) انظر الاعتصام ٢/ ٢٦٣.

(٥) يعني بذلك الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٢٨، ١٢٩، والترمذي في سننه ـ كتاب الإيمان ـ باب افتراق هذه الأمة ـ الحديث (٢٦٤١) ٥/ ٢٥، ٢٦، وفيه: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

راجع إلى ما قالوه وسنوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق»[١].

إلى أن قال: «فإذن كل ما سنوه فهو سُنة من غير نظر فيه، بخلاف غيرهم فإن فيه لأهل الاجتهاد مجالاً للنظر ردًّا وقبولاً، فأهل البدع إذن غير داخلين في الجماعة ـ قطعاً ـ على هذا القول»[٢].

والرابع: «أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملة اتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، أن لا يجمعهم على ضلالة، فإن وقع بينهم اختلاف فواجب تعرف الصواب فيما اختلفوا فيه»[٣].

والخامس : «ما اختاره الطبري الإمام من أن الجماعة جماعة المسلمين، إذا اجتمعوا على أمر، فأمر عليه الصلاة والسلام بلزومه، ونهى عن فراق الأُمة فيما اجتمعوا عليه من

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٦٣.

(٢، ٣) الاعتصام ٢/ ٢٦٣.

تقديمه عليهم»[1]. وساق كلاماً طويلاً للطبري، ثم قال الشاطبي: «وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسُّنة، وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سُنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأَحاديث المذكورة، كالخوارج ومن جرى مجراهم»[2] اهـ.

وخلاصة القول:

أن المفهوم الشرعي للجماعة الذي يستنبط من مجموع النصوص الشرعية، وآثار الأَئمة والعلماء، يدور حول معانٍ متقاربة، تنتهي كلها إلى أن الجماعة شرعاً هم:

أهل السُّنة والاتباع، أهل الحق، والفرقة الناجية، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان، من أئمة الهدى، أهل العلم والفقه في الدين، ومن اقتدى بهم واتبع سبيلهم من المؤمنين إلى قيام الساعة.

فهم الذين اجتمعوا على السُّنة، وأجمعوا عليها، واجتمعوا على الحق وعلى أئمتهم، فجاء اسمهم ووصفهم مركباً من

---

(١) الاعتصام ٢/ ٢٦٤.

(٢) الاعتصام ٢/ ٢٦٤.

أهل السُّنة والجماعة.

فهم أهل السُّنة حقًّا، الذين نقلوها وحفظوها، وتمسكوا بها وتواصوا بها وعلموها، وعملوا بها ورعوها حق رعايتها، وهم الجماعة التي عناها الرسول ﷺ حيث اجتمعت على الحق، وعلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

ويدخل في عموم الجماعة ما جاء مخصصاً في بعض معانيها، كأهل الحل والعقد، والمجتمعين على إمام أو مصلحة كبرى من مصالح المسلمين، وعلى جماعة المسجد ونحو ذلك.

الخارجون من مفهوم الجماعة:

إذا عرفنا من يدخل في مفهوم الجماعة بمقتضى النصوص الشرعية، وتفسير أئمة الهدى لها، فإنه من المفيد أن نتعرف على الخارجين من الجماعة المعنية شرعاً، بمقتضى النصوص وأقوال الأَئمة أيضاً:

أولاً: يخرج من مفهوم الجماعة: المبتدعة وأصحاب الأهواء والمحدثات في الدين؛ لعموم قوله ﷺ: «كل بدعة

ضلالة»[١] بإزاء قوله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[٢].

ولقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[٣].

ثانياً: أتباع الفرق: كالشيعة والخوارج، والقدرية، والمعتزلة، والجهمية، وأهل الكلام، ومن تفرع عنهم، والصوفية أصحاب الطرق، ونحوهم، وما تفرع عن هؤلاء كلهم من فرق واتجاهات، ومذاهب عقدية، قديماً وحديثاً؛ لعموم خبره ﷺ أن الأُمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة[٤]، وتفسيره ﷺ لهذه الواحدة بأنها هي: الجماعة[٥]، وأنها التي على ما كان عليه هو ﷺ وأصحابه.

ثالثاً: الخارجون عن أئمة المسلمين، وجماعتهم، الخروج الذي يؤدي إلى الشذوذ عن الجماعة، والشقاق والفرقة، أو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

إثارة الفتنة، أو انتهاك الحرمات، أو جلب المفاسد العظمى على الأُمة في دينها أو دنياها، أو نحو ذلك مما يدخل فيما حذر منه ﷺ.

كالخوارج وكل من خرج على الأئمة أو على الأُمة بالسيف، أو شق عصا الطاعة، بما يؤدي إلى الفتنة وانتهاك الحرمات، وتعطيل المصالح الكبرى للمسلمين، كالجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أو يؤدي إلى إخافة السبل وقطعها، وفزع الناس وإرهابهم، فإن كل ما يؤدي إلى مثل ذلك فهو خروج من الجماعة. والله أعلم[١].

رابعاً: يخرج من مفهوم الجماعة من يشذ عنهم من الجهلة،والسفهاء، والفجار، والفساق، والغوغاء، الذين لا يهتدون إلى السُّنة، ولا يقتدون بأهل العلم، ولا يرتدعون بالسلطة الرادعة، ولا يخضعون لوجهة الجماعة المعنية شرعاً، فلا تحسب منها، بل هي في سبيل الشذوذ والهلكة، ولا يستقيم أمر الجماعة إلا إذا أخذت على يد هذه الفئات وأطرتها على الحق أطراً.

---

(١) الخروج عن الجماعة، منه ما هو مخرج من الملة: كالردة، وإنكار القطعي من الدين، ومنه ما هو دون ذلك، كخروج البغاة ممن لم يأت بكفر في الاعتقاد.

المبحث الثالث
في مَفهُومِ أهل السُّنّةِ والجماعة

وفيه :

* مفهوم أهل السنة والجماعة.
* لماذا سموا بأهل السُّنة والجماعة؟
* من صفات أهل السُّنة وسماتهم كما يُصوِّرها السَّلف.



المبحث الثالث
في مفهوم أهل السنة والجماعة

*** مفهوم أهل السنة والجماعة :**

بعد هذا العرض السريع لمعـاني السُّنة، ومعاني الجماعة، كمـا وردت في النصـوص الشـرعيـة، وكمـا عبّر عنهـا وفهمهـا السلف؛ نجـد أنه يتحدد بـوضوح المفهوم السليم لأهـل السُّنة والجماعة.

من هم؟ ومـا صفاتهم؟ ومـا منهجهم؟ وعليه فإنـا نستطيع أن نعرِّف أهـل السُّنة من وجـوه متعددة، مـن خلال صفـاتهم، وسماتهم، ومنهجهم، ومن خـلال تعريف السلف لهم، أي من خلال تعريفهم هم بأنفسهم، فـأهل الدار أدرى بما فيها، وأهل مكة أدرى بشعابها.

ومن هذه الوجوه التي يمكن أن نتعرف بها على أهل السنة:

أولاً: أنهم هـم صحـابـة رسـول الله ﷺ الـذيـن علمـوهـا، ووعـوهـا، وعملـوا بهـا، ونقلوهـا، وحملـوهـا، روايـة ودرايـة،

ومنهجاً، فهم أجدر من يستحق التسمي بأهل السنة؛ لسبقهم إلى السُّنة علماً وعملاً وزمناً.

ثانياً : يليهم كذلك أتباع صحابة رسول الله ﷺ الذين أخذوا عنهم هذا الدِّين، ونقلوه، وعلموه، وعملوا به، من التابعين وتابعيهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهم أهل سنة رسول الله ﷺ الذين تمسكوا بها، ولم يبتدعوا، ولم يتبعوا غير سبيل المؤمنين.

ثالثاً : وأهل السنة والجماعة هم السلف الصالح أهل الكتاب والسنة، العاملون بهدي رسول الله ﷺ[١]، المتبعون لآثار الصحابة، والتابعين وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين الذين لم يبتدعوا ولم يبدلوا، ولم يحدثوا في دين الله ما ليس منه.

رابعاً : أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية من بين الفرق وهم الطائفة الظاهرة والمنصورة إلى قيام الساعة[١] .

خامساً : هم الغرباء إذا كثرت الأهواء والضلالات والبدع وفسد الزمان، أخذاً من قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ١٥٧.

كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء»[١]. وقال ﷺ: «طوبى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصهم أكثر ممن يطيعهم»[٢].

سادساً: وهم أصحاب الحديث، رواية ودراية، علماً وعملاً، لذلك نجد أن بعض أئمة السلف فسر الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل السُّنة والجماعة، بأنهم: (أصحاب الحديث) فقد روي ذلك عن ابن المبارك، وأحمد ابن حنبل، والبخاري، وابن المديني، وأحمد بن سنان[٣]، يرحمهم الله، وهذا حق فإن أصحاب الحديث الجديرين بهذا الوصف هم أئمة أهل السُّنة، قال الإمام أحمد في الطائفة المنصورة: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب (٦٥) الحديث (١٤٥) ١/ ١٣٠.
(٢) قال الألباني في صحيح الجامع الصغير: (صحيح) ١/ ١٢ رقم (٣٨١٦).
(٣) انظر فتح الباري لابن حجر ١٣/ ٣٩٣ والترمذي ٤/ ٥٠٤، ٥٠٥ انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، التعليق على الحديث (٢٧٠) جزء ٣/ ١٣٦ ـ ١٣٧.

هم»، قال القاضي عياض يرحمه الله: «إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»[(١)].

*** لماذا سموا بأهل السنة والجماعة؟**

سمي أهل السنة بذلك؛ لأَنهم الآخذون بسُّنة رسول الله ﷺ العالمون بها، العاملون بمقتضاها، والممتثلون لقول الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي»[(٢)]. فالسُّنة هي: ما تلقّاه الصحابة عن رسول الله ﷺ من الشرع والدين، والهدي الظاهر والباطن، وتلقاه عنهم التابعون، ثم تابعوهم، ثم أئمة الهدى العلماء العدول، المقتدون بهم، ومن سلك سبيلهم إلى يوم القيامة[(٣)]. ومن هنا صار أهل الحق المتبعون للسُّنة (أهل السنة) فهم الجديرون بذلك على الحقيقة.

أما تسميتهم بالجماعة، فلأنهم الذين عناهم النبي ﷺ في

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان ٢/ ٢٣٨.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٥٨.

قوله: «عليكم بالجماعة»[١]، ولأنهم اجتمعوا على الحق، وأخذوا به، واقتفوا أثر جماعة المسلمين المتمسكين بالسنة من الصحابة، والتابعين، وأتباعهم. ولأنهم دائماً بحمد الله يجتمعون على أئمتهم، ويجتمعون على الجهاد، وعلى الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجتمعون على السُّنة والاتباع، وترك البدع والأهواء والفرق، فهم الجماعة التي عناها الرسول ﷺ ووصفها وأمر بالأخذ بها.

وأخيراً نصل إلى نتيجة بينة واضحة وهي أن أهل السنة والجماعة اسم ووصف استمد:

أولاً : من سنة الرسول ﷺ، حينما أمر بالسُّنة، وأوصى بها «عليكم بسنتي» وحينما أمر بالجماعة، وأوصى بها «عليكم بالجماعة»، ونهى عن خلافها، ومفارقتها ، والخروج والشذوذ عنها، فأهل السُّنة والجماعة، إنما سماهم الرسول ﷺ ووصفهم بذلك.

وثانياً : استمد من آثار الصحابة، والسلف في القرون

---

(١) سبق تخريجه ص ٥٩.

الفاضلة، ومن قولهم ووصفهم، وحالهم، فهو اسم ووصف أجمع عليه أئمة الهدى وسموا به أهل الحق، ووصفوهم به، وتلك آثارهم شاهدة ناطقة في مصنفاتهم في كتب السنن والآثار.

وثالثاً : أن مصطلح أهل السُّنة، وصف صادق، معبر، يتميز به أهل الحق، عن أهل البدع والأهواء، وهذا بخلاف ما يظنه البعض من أن (أهل السُّنة والجماعة) إنما هو اسم أحدث في القرون المتأخرة عبر السنين وأنه لم يعرف إلا بعد الافتراق، والحق أنه اسم شرعي مأثور عن سلف هذه الأمة، منذ عهد الصحابة والتابعين، والصدر الأول، والقرون الفاضلة.

وهل هم محصورون في مكان أو زمان؟

أهل السُّنة والجماعة لا يحصرهم مكان، ولا زمان، إنما قد يكثرون في بلد، ويقلون في آخر، وقد يكثرون في زمان ويقلون في زمان[١]، لكنهم لا ينقطعون. ففيهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، وحجة الله على الخلق إلى أن تقوم الساعة، وبهم يتحقق وعد الله بحفظ الدِّين.

---

(١) انظر فتح الباري ١٣/ ٢٩٥ وشرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالله الغنيمان ٢/ ٢٤٠.

*** من صفات أهل السنة والجماعة وسماتهم كما يصورها السلف:**

إن صفات أهل السُّنة وسماتهم واضحة بينة؛ لأنهم أهل الحق، والحق ظاهر.

ولأَنهم أهل الصدق، والصدق بيِّن، ولأنهم أتباع السُّنة، والسُّنة محفوظة.

ولأنهم الجماعة، والجماعة معصومة ما اتبعت الحق.

وسأعرض بعض الأقوال المأثورة عن السلف، في وصف أهل السُّنة وسماتهم، كما عبر عنهم بعض الأَئمة:

١ ـ أهل السنة هم المتمسكون بحبل الله المتين :

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه : «السُّنة هي حبل الله المتين، فمن تركها فقد قطع حبله من الله»(١).

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «...فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»(٢). فإن من تمسك بالسُّنة واتبع الأَثر

(١) الشرح والإبانة لابن بطة ١٢٠.

(٢) سنن الدارمي ١/ ٤٩.

فهو متمسك بالعروة الوثقى، وأهل السُّنة كذلك.

٢ ـ أهل السنة والجماعة هم القدوة الصالحون، الذين يهدون إلى الحق، ويرشدون إلى الصراط المستقيم:

فمن اقتدى بهم وصاحبهم، وأخذ الدين عنهم؛ سلم له دينه، ومن جفاهم ولم يقتد بهديهم؛ هلك. يقول عمرو بن قيس الملائي يرحمه الله، ت١٤٣هـ:

«إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السُّنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايأَسْ منه، فإن الشاب على أول نشوئه»[(١)]. وقال: «إن الشاب ينشأ، فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد يَسْلم، وإن مال إلى غيرهم كاد يعطب»[(٢)].

* وقال ابن شوذب يرحمه الله، ت١٢٠هـ: «من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا تنسكا أن يوفقا إلى صاحب سُنة»[(٣)].

* وروي مثله عن أيوب السختياني يرحمه الله، ت١٣١هـ قال: «إن من سعادة الحدث والأَعجمي، أن يوفقهما الله لعالِم

(١) الشرح والإبانة ١٣٣.

(٢) الإبانة ١/ ٢٠٦.

(٣) الشرح والإبانة ١٣٣، والإبانة ١/ ٢٠٥.

من أهل السُّنة»[١].

* وقال الفضيل بن عياض يرحمه الله، ت١٨٧هـ «إن لله عباداً يحيي بهم البلاد، وهم أصحاب السنة»[٢].

* وأُثر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٦]. قال: «فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السُّنة والجماعة، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلال»[٣].

٣ ـ ومن سماتهم أنهم لا يتسمون بغير الإسلام والسنة والجماعة:

ومن تسمى أو انتمى لغير أهل السنة والجماعة هلك؛ لأَنهم الفرقة الناجية، ولأَن سبيلهم هو سبيل المؤمنين.

وهم أهل الإسلام، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «من أقر باسم من هذه الأَسماء المحدثة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٤]. يعني أسماء الفرق والأَهواء، فقد نقل القاضي عياض

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنن ـ اللالكائي ١/ ٦٠ الأثر رقم (٣٠).
(٢) اللالكائي ١/ ٦٥.
(٣) الشرح والإبانة ١٣٧.
(٤) الشرح والإبانة ١٣٧.

عن الإمام مالك قال: «وسأل رجل مـالكاً : مَنْ أهل السُّنة يا أبا عبدالله؟ قـال: الذيـن ليس لهم لقب يُعـرفون بـه، لاجهمي ولا رافضي ولا قدري»[١].

وقال الإمـام ابن القيِّم: سئل بعض الأَئمة عن السُّنـة فقال: «ما لا اسم له سوى السُّنة»[٢].

* ويقـول مـالك بـن مغول يـرحمـه الله، ت١٥٩هــ: «إذا تسمّى الرجل بغير الإسلام والسُّنة فألحقه بأي دين شئت»[٣].

وقال ميمون بن مهران يـرحمه الله، ت١١٧هـ: «إياكم وكل اسم يسمى بغيـر الإسلام»[٤]. ومعلوم أن كل من خـالف السُّنة والجماعـة فقد تسمى بغير الإسـلام والسُّنة، كأصحـاب الأهواء والفرق الضـالة، وإن ادَّعى أنـه من أهل السُّنة، فأهـل السُّنة لا ينتمون لـلأحزاب ولا الجمـاعات المتحـزبة ولا الشعـارات ولا

---

(١) ترتيب المدارك ١/ ٧٢.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ١٧٤.

(٣) الـدر المنثـور للسيـوطـي ٢/ ٦٣، والـلالكـائي ١/ ٦٢، وراجع التهميـش للدكتور أحمد سعد حمدان.

(٤) الشرح والإبانة ١٣٧.

القـوميات، ولا يتعصبـون لـلأوطـان ولا الشعوب، ولا الأَجنـاس والقبـائل، إنما يجمعهم شعـار السُّنـة والإسلام، في أي مكـان وأي زمان.

٤ ـ أهل السنة هم خيار الناس ينهون عن البدع وأهلها :

* يقـول الفضيـل بـن عيـاض يـرحمـه الله، ت١٨٧ هـ: «أدركت خيار النـاس كلهم أصحاب سُنة ينهـون عن أصحاب البدع»[(١)].

* وقيل لأَبي بكر بن عياش يرحمه الله، ت ١٩٤هـ: من السني؟ قال: «الذي إذا ذكرت الأَهواء لم يتعصب إلى شيء منها»[(٢)].

* ويقول أيـوب السختياني يرحمه الله، ت١٣١هـ لعمارة بن زاذان يـرحمـه الله، ت١٣١هـ : «يـا عمارة إذا كـان الـرجل صاحب سُنة وجماعة فلا تسأل عن أي حال كان فيه»[(٣)].

* فأهل السُّنة هم خيار الأُمـة ووسطها، الذين على الصراط المستقيم، طريق الحق والاعتدال[(٤)].

---

(١) الشرح والإبانة ١٥٣. (٢) اللالكائي ١/ ٦٥.

(٣) اللالكائي ١/ ٦٠.

(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/ ٣٦٨، ٣٦٩.

وهـم الـذيـن ينهـون عـن أصحـاب البـدع والأَهـواء، ولا يتعصبون لغير الحق، والسُّنة والجماعة.

٥ ـ أهل السنة هم الغرباء إذا فسد الناس :

لأنهم (طـائفة)، وهـم (ملـة)، و(فرقـة)، من طـوائف وفرق كثيرة، فرقة واحدة من ثلاث وسبعين، فهم (الغرباء) بين جموع أصحاب البدع والأهواء والفرق.

* يقول الحسن البصري يرحمه الله، ت١١٠هـ: «فإن أهل السُّنة كانـوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل النـاس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الأَتـراف في أترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبـروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكـذلك ـ إن شاء الله ـ فكونوا»[1].

* ويقول سفيان الثوري يرحمـه الله، ت١٦١هـ: «استوصوا بأهل السُّنة خيراً فـإنهم غرباء»[2]. وكان يقول: «إذا بلغك عن رجل بـالمشرق صـاحب سُنة وآخـر بالمغـرب، فابعـث إليهما

(١) سنن الدارمي ١/ ٧٢. انظـر (أهل السُّنة والجماعة) جمـع وإعداد محمد عبدالهادي المصري.

(٢) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي ١/ ٦٤.

بالسلام، وادع لهما، ما أقل أهل السُّنة والجماعة»[١].

* ويقول عبدالله بن المبارك يرحمه الله، ت١٨١هـ: «اعلم أني أرى أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم، لقي الله على السُّنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلّ بهذه الأُمة من ذهاب العلماء، وأهل السُّنة، وظهور البدع»[٢].

٦ ـ وأهل السنة والجماعة هم الأئمة العدول الثقات، أهل الحديث، ورجال الإسناد نقلة الدين، رواية ودراية:

قال النبي ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٣]. والذين حملوا هذا العلم، هم أهل الحديث،

(١) السابق (اللالكائي) ١/ ٦٤.

(٢) أخرجه ابن وضاح بسنده في البدع ٣٩.

(٣) أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢٨، ٢٩ وابن عدي في الكامل ١/ ١٥٢، ١٥٣، و٣/ ٩٠٢، وأورده العلائي في بغية الملتمس، وصححه ص٣٤، ٣٥. راجع هامش أولي الأبصار للدكتور صالح السحيمي ص٦٤.

وهم أئمة الهدى، الذين حفظوا السُّنة، وعملوا بها، وعلموها الناس، فهم أئمة السُّنة.

* ويقول ابن سيرين يرحمه الله، ت١١٠هـ: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السُّنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخد حديثهم»(١).

٧ ـ وأهل السنة هم الذين يحزن الناس لفراقهم:

* يقول أيوب السختياني يرحمه الله: «أني أخبر بموت الرجل من أهل السُّنة، وكأني أفقد بعض أعضائي»(٢)! ويقول: «إن الذين يتمنون موت أهل السُّنة، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون»(٣).

* ولما توفي الإمام عبدالعزيز بن محمد الدراوردي يرحمه الله، ت١٨٧هـ جزع سفيان بن عيينة يرحمه الله، ت١٩٨هـ!

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، باب أن الإسناد من الدين ١/ ١٥، والترمذي في كتاب العلل ٥/ ٧٤٠.

(٢) الحلية لأبي نعيم ٣/ ٩ واللالكائي ١/ ٦٠، الأثر(٢٩).

(٣) اللالكائي ١/ ٦١ الأثر(٣٥).

وأظهر الجزع، فقيل له: ما علمنا أنك تبلغ مثل هذا، قال: «إنه من أهل السنة»[١].

* وقال معافى بن عمران يرحمه الله، ت١٨٦هـ: «لا تحمدن رجلاً إلا عند الموت، إما أن يموت على السُّنة، أو يموت على بدعة»[٢].

* وقال عون يرحمه الله ـ لعله ابن عبدالله الكوفي ـ ت قبل ١٢٠هـ: «من مات على الإسلام والسُّنة، فله بشير بكل خير»[٣].

٨ ـ **وأهل السنة هم أقوى الناس يقيناً وثباتاً وفقهاً وتمسكاً بما معهم من الحق واتفاقاً عليه.** أما غيرهم من أهل الكلام والبدع والمحدثات، فهم مضطربون متقلبون متنازعون، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن أهل السنة والحديث: «وكيف يليق بمثل هؤلاء[٤] أن ينسبوا إلى الحشو أهل الحديث والسنة الذين هم أعظم الناس علماً ويقيناً وطمأنينة وسكينة، وهم

---

(١) اللالكائي ١/ ٦٦ الأثر رقم (٥٦).

(٢) اللالكائي ١/ ٦٧ الأثر رقم (٦٢).

(٣) اللالكائي ١/ ٦٧ الأثر رقم (٦٠).

(٤) الإشارة إلى أهل الكلام الذين يلمزون أهل السنة بالحشوية.

الذين يعلمـون ويعلمون أنهم يعلمون، وهم بالحـق يوقنون ،لا يشكون ولا يمتـرون»[١] وذكر أن عنـد عوام أهـل السنة مـا ليس عند أئمة المتكلمين والفلاسفة.

وأقول: وكـذلك عند عـوام أهل السنـة اليوم من الاستقـامة وسلامة الفطـرة وسلامة التوجه؛ ما ليس عنـد بعض من يسمون بـالمفكريـن والمثقفين وكثيـر من أتباع الجمـاعـات الحزبيـة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

❑ ❑ ❑

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٩.

خاتمـــة

وفي ختـام هـذا البحث فـإني أحب أن أقـف مع القـارئ الكريم الوقفات التالية:

الوقفة الأولى :

أن تجليـة هـذا الأمـر (مفهـوم السُّنـة والجمـاعـة) مهمـة وضروريـة في هذا العصر، الـذي كثرت فيه دعـاوي الانتساب لأَهل السُّنة، ممـن لا يعرف عقيدة أهل السُّنـة، وأصولهم، ولا يعمل بهـا، بـل وممن يخـالـف أهل السُّنـة فـي الأُصـول، أو بعضهـا، ومثل هـذا البحـث الـذي كتبتـه على عجـل لا يفي بـالغرض المطلـوب، إنمـا هوإسهـام أدعو فيـه طـلاب العلم والباحثيـن ـ بـــل وعلماءنـا ومشايخنـا الكـــرام ـ لإعطاء هذا الموضوع حقه من البحث والعناية والبيان.

الوقفة الثانية:

أن الدعـوات والحركات الإسـلامية المعاصـرة التي تحمل لـواء الـدعـوة، وتـرفع رايـة الإسـلام، قـد نفع الله بهـا الإسـلام

والمسلمين بعض النفع، إلا أن غالبها حتى الآن ـ في نظري ـ لم يرفع لواء السُّنة، كما كانت عند السلف علماً وعملاً وسلوكاً ومناهج، بمعنى أن أكثر هذه الدعوات المعاصرة لم تعتمد مذهب أهل السُّنة والجماعة في الأُصول، ولم تترسم منهج السلف الصالح بشكل واضح جلي، اللهم إلا أنه يوجد من أفراد هذه الحركات من يعرف مذهب السلف، ويعمل به، لكن المناهج العلمية والعملية لا تزال قاصرة عن ذلك، وأنا بهذه المناسبة أذَكِّر طلاب العلم والدعاة ـ وهم أجدر من يتذكَّر ـ بأن يولوا هذه المسألة حقها، وهي اعتماد مذهب السلف في الأُصول بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى ومستلزمات.

الوقفة الثالثة:

أذَكِّر فيها جميع المسلمين بأنه لا عزّ لهم، ولا نصر، ولا رفعة، إلا بالرجوع إلى السُّنة، وإلى منهج السلف الصالح، والتخلص من البدع والأَهواء والمحدثات، التي رانت على قلوب كثير من المسلمين وأعمالهم، والتي لا تزال تتشبث بها الطرق الصوفية، والطوائف والفرق البدعية، والاتجاهات

المنحرفة القديمة والحديثة.

وأخيراً أسأل الله لي ولجميع المسلمين التوفيق، وأن ينصر الإسلام، ويرد ضال المسلمين إلى الحق والصراط المستقيم.

وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا محمد الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

كتبه
ناصر بن عبد الكريم العقل
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة
بكلية أصول الدين/ الرياض



فهرس الموضوعات

خاتمة: تتضمن ثلاث وقفات: